بسم الله الرحمن الرحيم

الحذر من الافتتان بالسَّحَّارَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

* فعن مَالِك بْن دِينَارٍ رحمه الله قال: «اتَّقُوا السَّحَّارَةَ؛ فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ» -يَعْنِي الدُّنْيَا- رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٤).

فإن كانت الدنيا قد يُفتتن بها العلماء فكيف بغيرهم؟

* وقال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية ط هجر» (٢/ ٢٠٤):

«قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ [القصص:٧٩]:

ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ خَرَجَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ:

مِنْ مَلَابِسَ،

وَمَرَاكِبَ،

وَخَدَمٍ،

وَحَشَمٍ،

فَلَمَّا رَآهُ مَنْ يُعَظِّمُ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، تَمَنَّوْا أَنْ لَوْ كَانُوا مِثْلَهُ، وَغَبَطُوهُ بِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ.

فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمُ الْعُلَمَاءُ ذَوُو الْفَهْمِ الصَّحِيحِ، الزُّهَّادُ الْأَلِبَّاءُ، قَالُوا لَهُمْ: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص:٨٠]، أَيْ: ثَوَابُ اللهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأَجَلُّ وَأَعْلَى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠] أَيْ: وَمَا يُلْقَى هَذِهِ النَّصِيحَةَ، وَهَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَهَذِهِ الْهِمَّةَ السَّامِيَةَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ الْعَلِيَّةِ، عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى زَهْرَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ:

إِلَّا مِنْ هَدَى اللهُ قَلْبَهُ،

وَثَبَّتَ فُؤَادَهُ،

وَأَيَّدَ لُبَّهُ،

وَحَقَّقَ مُرَادَهُ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ» انتهى.

ويُذكِّرني استعظام من استعظم أُبَّهة قارون، ببعض الناس حال استعظامه أُبَّهة بعض السنابيين وغيرهم، عند عرضهم للمراكب، أو المساكن، أو المطاعم، أو المقاهي، أو غيرها.

فنقول لهم كما قال أهل العلم النافع في زمن قارون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القصص:٨٠].

وختامًا: أُذكِّر نفسي وإخواني بما كان نبينا محمد ﷺ يدعو به في ختم أكثر مجالسه:

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "قَلَّما كان رسولُ الله ﷺيقومُ من مجلِسٍ حتى يدعُوَ بهؤلاءِ الدَّعواتِ لِأَصحابِهِ: اللهمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِكَ ما تحولُ بِهِ بيننَا وبينَ معاصيك، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جنتَكَ، ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ علَيْنَا مصائِبَ الدُّنيا، اللهمَّ متِّعْنَا بأسماعِنا، وأبصارِنا، وقوَّتِنا ما أحْيَيْتَنا، واجعلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجعَلْ ثَأْرَنا عَلَى مَنْ ظلَمَنا، وانصرْنا عَلَى مَنْ

عادَانا، ولا تَجْعَلِ مُصِيبَتَنا في دِينِنا، ولَا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا، ولَا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولَا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لَا يرْحَمُنا" رواه الترمذي (٣٥٠٢) ، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٢٣٤)، والطبراني في (الدعاء) (١٩١١) .

* ولقد قال قتادة بن دِعامة السَّدوسي رحمه الله: "خَيْرُ الرِّزْقِ مَا لَا يُطْغِيكَ وَلَا يُلْهِيكَ" رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠ /٥١٠).

اللهم لطفك بنا.

واللهم استجب لنا.

كتبه

أبو الحارث أسامة بن سعود العَمْري

الرياض - حرسها الله -

٦/ جمادى الآخر / ١٤٤٣هـ